بين لججِ الشك وفِخاخِ الغواية في ديوان (قبل التيه برقصة)

يقول الفيسلوف الإنجليزي برتراند راسل : «الحكماء مليئون بالشكوك»

أن تستغرق في قراءة ديوان يمتلك شاعره حساً نقدياً رفيع المستوى إضافةً إلى موهبة شعرية مرهفة فثق تماماً بأنك نلت قِطاف الأدب
وأجمل ما يُلفت الانتباه في هذا الديوان أن الألفاظ فُصلت على مقاس المعاني بشكل دقيق وأن الصور الشعرية تتوالى بلا تكلف في النصوص متخذةً من المحاور المتناولة ما يليق بتفاصليها من حيث المبنى والمعنى لتأخذ بنا إلى الحقيقة الشعرية التي قال وردزورت معبراً عنها بأنها (الحقيقة التي تصل إلى القلب رائعة بواسطة الخيال))

إن الشك والغواية بما يحتويان من أشباه ونظائر في سياقات متعددة بانزياحاتها اللغوية من التماهي والتباين لا أجدهما في هذا الديوان إلا توأماً متناسقاً لا يُذكر أحدهما إلا تبعه الآخر في مواطن شتى سواء على مستوى الديوان الذي يضم بين دفتيه قصائد
موزّعة أغلبيتها بين الغواية (كقصيدة ركب الغواية وقصيدة رغبة في الحب وقصيدة جيش من شبق) و بين الشك كقصيدة (أقصى تخوم الشك وقصيدة خطوة التيه وقصيدة بريق البشر) ، والغواية لها النصيب الأوفر من قصائد الديوان ككل،
أو على مستوى الأبيات في القصيدة الواحدة
ففي قصيدة (قميص الريح) تتجلى الصورة بوضوح :

وتغويني الصفاتُ وأردتيها
تُراها أم غدت هي ترتديني
قميصُ الرّيحِ يمخرُ في عظامي
ويُلجِئُني لأسكُنَ في الظنون

وكذلك في قصيدة (خطوة التيه) :

تيهي غوايةُ أحرفي ورسائلي
للمطلقِ الممتدّ للعصيانِ
تنور شكّي لانتهاءِ محطةٍ

وأزيزُ همسي مِرجلُ الفورانِ

وأيضاً في قصيدة (تضاريس في وجه مرآتي):

هَلُمَ هيتَ تعالَ الآنَ يا هَجَساً

تقولُ لي بعد إيماني بشُبهاتي

أغويتُها بقميصٍ كلُّهُ فِتنٌ

قدَّتهُ من حسِّها أظفارُ لذَّاتِ

وفي قصيدة (الضياع هوى) كذلك :

من ذا سيُهديني الحقيقةَ صادقاً

إن لم يكُن في قولها غاياتي

من يحتويني إن رماني موجُها

مُلقىً على غيٍّ من الشُّبُهاتِ

وأصُدُّني بالتيهِ عن طيف الهُدى

وأذوبُ في شقراءَ بالنظراتِ

هاني الحسن وحيدٌ تائهٌ في قضاياهُ يسابقُ عمرَه بالرقص بالكلمات ليُساقِطَ من خصر الحياة أوجاعها فهو لا يكفُّ عن الغناء ليُطهِّرَ طريقه بطريقته الخاصة، وطقوسه في الحب هي من توجّه البوصلة نحو قبلةِ الإنسان

محمود المؤمن

27-4-2024